دار القاسم

الغيرة على

الأعراض

فضيلة الشيخ
صالح بن عبد الله بن حميد
إمام وخطيب المسجد الحرام

المملكة العربية السعودية - ص . ب ٦٣٧٣ - الرياض ١١٤٤٢
هاتف/٤٧٧٥٣١١ - فاكس/٤٧٧٤٤٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده :

إن هزائم الأمم وانتكاسات الشعوب لاترجع إلى الضعف في قواها المادية ولا إلى النقص في معداتها الحربية ، من يظن هذا الظن ففكره قاصر ونظره سقيم ، إن الأمم لاتعلو -بإذن الله- إلا بضمانات الأخلاق الصلبة في سير الرجال . بل إن رسالات الله ماجاءت إلا بالأخلاق وإتمام الأخلاق بعد توحيد الله وعبادته ، «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**» ، الأخلاق الفاضلة يضعف أمامها العدو ، وينهار بها أهل الشهوات .

حينما يكون المجتمع صارماً في نظام أخلاقه وضوابط سلوكه ، غيوراً على كرامة فرده وأمته ، مؤثراً رضا الله على نوازع شهواته ، حينئذ يستقيم مساره في طريق الحق والصمود والرفعة والإصلاح .

* والأخلاق - أيها الإخوة - ليست شيئاً يكتسب بالقراءة والكتابة ، ولا بالمواعظ والخطابة ، ولكنها درجة بل درجات لاتنال - بعد توفيق الله ورحمته - إلا بالتربية والتهذيب ، والصرامة والحزم ، وقوة الإرادة والعزم .

* **أخي الفاضل** : وبين يديك في هذه النشرة حديث عن مقياس دقيق من مقاييس الأخلاق ، ومعيار جلي من معايير ضبط السلوك.

إنه حديث الغيرة ، الغيرة ياأخي رعاك الله . الغيرة ، الغيرة على الأعراض ، وحماية حمى الحرمات .

* **يا أيها الغيور** : كل امرىء عاقل بل كل شهم فاضل لايرضى إلا أن يكون عرضه محل الثناء والتمجيد ، ويسعى ثم يسعى ليبقى عرضه حرماً مصوناً لا يرتع فيه اللامزون ولا يجوس حماه العابثون .

* **إن كريم العرض ليبذل الغالي والنفيس للدفاع عن شرفه** ، وإنَّ ذا المروءة الشهم يقدم ثروته ليسد أفواهاً تتطاول عليه بألسنتها أو تناله ببذيء ألفاظها . نعم إن الشهم ليصون عرضه بالمال فلا بارك الله بمال لايصون عرضاً ، بل لايقف الحد عند هذا فإن صاحب الغيرة ليخاطر بحياته ويبذل مهجته ويُعرِّض نفسه لسهام المنايا عندما يُرْجم بشتيمة تلوث كرامته . يهون على الكرام أن تُصَاب الأجسام وتسيل الدماء ، ؛ لتسلم العقول وتحفظ الأعراض . وقد بلغ ديننا في ذلك الغاية حين أعلن نبينا محمد ﷺ : «**من مات دون عرضه فهو شهيد**» .

* **أخي حماك الله** : بصيانة العرض وكرامته يتجلى صفاء الدين وجمال الإنسانية ، وبتدنسه وهوانه ينزل الإنسان إلى أرذل الحيوانات البهيمية .

* **يقول ابن القيم رحمه الله** : « إذا رحلت الغيرة من القلب ترحلت المحبة بل ترحل الدين كله » .

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ من أشد الناس غيرة على أعراضهم . روي عن رسول الله ﷺ أنه قال يوماً لأصحابه : « **إن دخل أحدكم على أهله ووجد مايريبه أشهد أربعاً**» ، فقام سعد بن معاذ متأثراً فقال : يارسول الله : أأدخل على أهلي فأجد مايريبني ، أنتظر حتى أشهد أربعاً ؟! لا والذي بعثك بالحق !! إن رأيت مايريبني في أهلي لأطيحن بالرأس عن الجسد ولأضربن بالسيف غير مصفح وليفعل الله بي بعد ذلك مايشاء ، فقال ﷺ : «**أتعجبون من غيرة سعد !! والله لأنا أغير منه ، والله أغير مني ، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ماظهر منها ومابطن . .** » الحديث وأصله في الصحيحين .

من حُرِم الغيرة حُرِم طهر الحياة ، ومن حُرِم طهر الحياة فهو أحط من بهيمة الأنعام ، ولايمتدح

بالغيرة إلا كِرَام الرجال وكرائم النساء .

إن الحياة الطاهرة تحتاج إلى عزائم الأخيار ، وأما عيشة الدعارة فطريقها سهل الانحدار والانهيار ، وبالمكاره حفت الجنة ، وبالشهوات حفت النار .

* **أخي المسلم :** إن الأسف كل الأسف والأسى كل الأسى فيماجلبته مدنية هذا العصر من ذبح صارخ للأعراض ووأد كريه للغيرة . . تعرض تفاصيل الفحشاء من خلال وسائل نشر كثيرة ، بل إنه ليُرى الرجل والمرأة يأتيان الفاحشة وبواعثها ومثيراتها ، يشاهدان وهما يعانقان الرذيلة غير مستورين عن أعين المشاهدين والنظارة ، لقد انقلب الحال عند كثير من الأقوام بل الأفراد والأسر حتى صار الساقطون الماجنون يمثلون الأسوة والقدوة ويجعلون من فكرهم وسلوكهم وحركاتهم وسام افتخار وعنوان رجولة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

تصوروا - رعاكم الله وحماكم - خبيثاً وخبيثة يقفان على قارعة الطريق ليمارسا الفاحشة علانية كما تفعل البهائم من الحمير والخنازير - أعز الله مقامكم ونزه أسماعكم - .

هل غارت من النفوس الغيرة ؟ وهل غاض ماؤها ؟ وهل انطفأ بهاؤها ؟ هل في الناس دياثة ؟ هل فيهم من يقر الخبث في أهله ؟ لايدري الغيور من يخاطب !! هل يخاطب الزواني والبغايا و إلا فأين الكرام والحرائر ؟! .

إعلانٌ للفحشاء بوقاحة ، و إغراق في المجون بتبجح .

أغان ساقطة، وأفلام آثمة ، وسهرات فاضحة ، وقصص داعرة ، وملابس خالعة ، وعبارات مثيرة ، وحركات فاجرة ، مابين مسموع ومقروء ومشاهد في صور وأوضاع يندى لها الجبين في كثير من البلاد والأصقاع إلا من رحم الله . على الشواطىء والمنتزهات ، وفي الأسواق والطرقات . ولا حول ولاقوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل .

حسبنا الله من أناس يهشون للمنكر ، يودون لو نبت الجيل كله في حمأة الرذيلة ، وحسبنا الله من فئات تود لو انهال التراب على الفطرة المستقيمة والحشمة الرفيعة .

ما هذا البلاء ؟ كيف يستسيغ ذو الشهامة من الرجال والعفة من النساء لأنفسهم ولأطفالهم ولفتيانهم ولفتياتهم هذا الغثاء المدمر من ابتكارات البث المباشر وقنوات الفضاء الواسع ؟ .

أين ذهب الحياء ؟ وأين ضاعت المروءة ؟ أين الغيرة من بيوت هيّأت للناشئة أجواء الفتنة ، وجرّتها إلى مستنقعات التفسخ جراً وجلبت لها محرضات المنكر تدفعها إلى الإثم دفعاً ، وتدُعّها إلى الفحشاء دعّاً؟ .

اطلعت امرأة شريفة على الخمر ثم سألت : هل تشرب هذا نساؤكم ؟ قالوا : نعم . قالت : زنَين وربّ الكعبة .

* **أيها الإخوة :** إنَّ طريق السلامة لمن يريد السلامة - بعد الإيمان بالله ورحمته وعصمته - ينبع من البيت والبيئة . فهناك بيئتان : واحدة تنبت الذل وأخرى تنبت العز . وثمت بيوتات تظللها العفة والحشمة ، وأخرى ملؤها الفحشاء والمنكر . لاتُحفظ المروءة ولايسلم العرض إلا حين يعيش الفتى وتعيش الفتاة في بيت محتشم محفوظ بتعاليم الإسلام وآداب القرآن ملتزم بالستر والحياء ، تختفي فيه المثيرات وآلات اللهو والمنكر ، ويتطهر من الاختلاط المحرم . الغيرة الغيرة يامسلمون ، فالحمو الموت ، واحذروا السائق والخادم وصديق العائلة وابن الجيران ، ناهيك بالطبيب المريب ، والممرض المريض ،

وإياكم واحذروا الخلوة بالبائع والمدرس في البيت ، حذاري أن يظهر هؤلاء وأشباههم على عورات النساء . فذلكم اختلاط يتسع فيه الخرق على الراقع ، وتصبح فيه الديار من الأخلاق بلاقع .

هل تأملتم - وفقكم الله - لماذا توصف المحصنات بالغافلات .

الغافلات : وصف لطيف محمود ، وصف يجسد المجتمع البرىء والبيت الطاهر الذي تشب فتياته زهرات ناصعات لايعرفن الإثم . إنهن غافلات عن لوثات الطباع السافلة .

وإذا كان الأمر كذلك فتأملوا كيف تتعاون الأقلام الساقطة ، والأفلام الهابطة ، لتمزق حجاب العفة ، هذا ، ثم تتسابق وتتنافس في شرح المعاصي وفضح الأسرار وهتك الأستار وفتح عيون الصغار قبل الكبار ، ألا ساء ما يزرون .

* **أخي المسلم أختي المسلمة :** الغيرة الغيرة ، إن لم تغاروا فاعلموا أن ربكم يغار : فلا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش .

* ياأمة محمد : ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته . وربكم يمهل ولايهمل . وإذا ضُيِّع أمر الله فكيف تُستنكر الخيانات البيتية ، والشذوذات الجنسية ، وحالات الاغتصاب ، وجرائم القتل وألوان الاعتداء ؟

إذا ضُيع أمر الله طفح المجتمع بنوازع الشر ، وامتلأ بدوافع الأثرة ، وتولدت فيها مشاعر الحسد والبغضاء ، ومن ثم ، قَلّ ماينجو من فساد وفوضى وسفك دماء ، ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد : ٢٢ - ٢٤] .

* **يا أصحاب الغيرة :** كم للفضيلة من حصن امتنع به أولاد النخوة فكانوا بذلك محسنين ، وكم للرذيلة من صرعى أوردتهم المهالك فكانوا هم الخاسرين .

في ظلال الفضيلة عفةٌ وأمان ، وفي مهاوي الرذيلة ذلةٌ وهوان ، والرجل هو صاحب القوامة في الأسرة ، وإذا ضعف القوَّام فسد الأقوام ؛ وإذا فسد الأقوام خسروا الفضيلة وفقدوا العفة وتاجروا بالأعراض وأصبحوا كالمياه في المفازات يلغ فيها كل كلب ويُكدِّر ماءها كل وارد .

جاء شاب إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ائذن لي في الزنا ، فأقبل عليه الناس يزجرونه ، وأدنى رسول الله ﷺ مجلسه ثم قال له : « **أتحبه لأمك؟** » قال لا ، والله ، جعلني الله فداك ، قال رسول الله ﷺ : « **ولا الناس يحبونه لأمهاتهم** » . قال : « **أتحبه لابنتك؟** » قال : لا، قال : « **ولا الناس يحبونه لبناتهم** » ، ولم يزل النبي ﷺ يقول للفتى أتحبه لأختك، أتحبه لعمتك ، أتحبه لخالتك ، كل ذلك والفتى يقول : لا، والله ، جعلني الله فداك . فوضع النبي ﷺ يده عليه وقال : « **اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه ، وحصن فرجه** » فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء . أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي أمامة رضي الله عنه .

* **أيها الغيورون أيتها الغيورات :** هذه هي الغيرة وهذا هو حال الكثير ، ألم يأن لأهل الإسلام أن يراجعوا أنفسهم ، ويخشوا ربهم ، ويعوا مسئولياتهم بنيناً وبنات نساء ورجالاً ؟ . وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه وأصلح أحوالنا ، وجمع كلمة المسلمين على الحق وهدانا ووفقنا إلى الحق والطريق المستقيم .

دار القاسم للنشر ، اطلب قائمة المطويات تصلك بالبريد أو بالفاكس ، هدفنا نشر الكتاب الإسلامي

حقوق الطبع والنشر محفوظة